

سلسلة بطولات على أرض الأردن المباركة

من بطولات النبي ﷺ

ثلاث قرى فتحها :

العقبة وأذرح والجرباء
فأصبحت من الدولة النبوية الأولى

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

العقبة وأذرح والجرباء ثلاث قرى في الأردن، منها قريتان متجاورتان، ومتلازمتان في الذكر؛ نعمان شمال غربي مدينة معان، هما أذرح والجرباء، وفي كل من أذرح والجرباء قال ياقوت: (وهو اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء، وعمان مجاورة لأرض الحجاز)^(١).

ﷺ قَالَ: (أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ)^(٢)، وفي مسلم: (إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضاً، مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ)^(٣).

وأذرح هي المدينة الرئيسة في الشراة سابقاً؛ قال الإدريسي: (وشراة، مدينتها تسمى أذرح)^(٤).

تم فتح أذرح والجرباء في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع صلحاً، وذلك لما حل

وقد ذكرهما النبي ﷺ؛ ففي البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ

شامية، وعندهم بردة رسول الله ﷺ وعهده وهو مكتوب في أديم^(١).

وأما ملك أيلة فقدم على النبي ﷺ، فصالحه، واشترط النبي ﷺ على أهل أيلة قري^(٧) مَنْ مَرَّ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وكتب لهم كتاباً أن يحفظوا ويمنعوا؛ وقد ذكر ابن كثير^(٨) مصالحته ﷺ ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح قبل رجوعه من تبوك؛ في سنة تسع؛ وذكر أنه لما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يعنة بن ربيعة^(٩)؛ فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، (وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكِسَاءً بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ)^(١٠)، ونصه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَعْنَةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سَفْنُهُمْ وَسَيَارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا، فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ طَلَبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ

جيش المسلمين في أرض تبوك، وعلم جنود الروم بكثرة جنود الإسلام وبشهامتهم وتضحيتهم النادرة، التي شهدوا نموذجا منها عن كثب في غزوة مؤتة، رأوا من الصالح أن ينسحبوا إلى داخل بلادهم، وأن لا يواجهوا المسلمين.

وهناك خششي الحكام والولاة في المناطق المجاورة، فاتصلوا برسول الله ﷺ شخصياً؛ وهم زعماء أيلة - العقبة - وأذرح والجرباء، فكتب الرسول ﷺ كتب أمان لهم، وبذلك فتحت هذه البلاد سلباً.

قال الواقدي: (نسخت بيدي كتاب أذرح وإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي ﷺ لأهل أذرح، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتمزير - النصره - إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون)^(٥).

وفي كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: (أذرح: مدينة متطرفة حجازية

أقوام أذرح وجرياء، التي كانت تتمتع بأهمية إستراتيجية، وبذلك ضمن أمن المنطقة الإسلامية من ناحية الشمال.

ولأذرح والجرياء تاريخ ثرّ فذ بين الآثار الدينية الإسلامية في الأردن، لأن من يقف عليه يرى فيه الحاضر المائل، وقد كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وذلك سنة ٢٧ هـ وقد نشبت معركة صفين على شاطئ الفرات من الجانب الغربي^(١٥)، بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وشبّت الحرب، وَقَتْلَ خَلْقٍ، وَضَجِرُوا، فَرَفَعَ النَّاسُ الْمَصَاحِفَ، وَقَالُوا: نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَالْحُكْمِ بِمَا فِيهِ، فَاصْطَلَحُوا، وَكَتَبُوا بَيْنَهُمْ كِتَاباً عَلَى أَنْ يُؤَافُوا أَذْرَحَ، وانتهت المعركة بقبول مبدأ التفاوض والتحكيم، واختيرت منطقة أذرح مكاناً للقاء الحكمين^(١٦)، وسمي ذلك العام عام أذرح.

بَرَّ أَوْ بَحْرٍ^(١١) زاد ابن إسحاق بعد هذا (وهذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل ابن حسنة بإذن رسول الله)، قال ابن إسحاق: (أعطى النبي ﷺ أهل أيلة بردة مع كتابه أماناً لهم)، وفي كشف الظنون^(١٢): (أن النبي ﷺ أول من أملى كتب المعهود والمواثيق منها عهده لنصارى أيلة بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، وقال ابن سعد^(١٣): (كساه رسول الله ﷺ برداً يمانية، وأمر بإنزاله عند بلال)، وأما البردة فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار، فكانت عند معاوية رضي الله عنه، وفقدت عند زوال دولة بني أمية^(١٤).

هذا الكتاب يكشف عن قاعدة مهمة في السياسة الإسلامية؛ وهي أن أي شعب أراد أن يسالم المسلمين، وفر الإسلام له كل أمن وسلام، ثم إن رسول الله ﷺ صالح بقية الحكام الحدوديين؛ مثل سادة

الهوامش:

٣- البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض.

١- معجم البلدان ١/ ٨١.

٤- مسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ

٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي

وصفاته، قال النووي في شرح مسلم: (قال

١١٤/١.

- ٧- إطماع.
- ٨- البداية والنهاية ١٦ / ٥.
- ٩- في القاموس المحيط للفيروزآبادي: يُحَنُّ بَنُ رَذْبَةً ملك أيلة.
- ١٠- متفق عليه: البخاري: كتاب الزكاة، ومسلم: كتاب الجهاد والسير.
- ١١- الروض الأنف ١ / ٣٠٠.
- ١٢- كشف الظنون ٢ / ١٠٤٦.
- ١٣- الطبقات ١ / ٢٩٠.
- ١٤- الطبقات الكبرى ١ / ٢٨٩.
- ١٥- معجم البلدان ٣ / ٩٨.
- ١٦- السيرة النبوية: ٢ / ٥٢٦.
- القاضي عياض: وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب، فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سموها في مواطن مختلفة، ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً، ليمد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام ليمد ما بين البلاد المذكورة، لا على التقدير الموضوع للتحديد؛ بل للإعلام بمعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع الروايات هذا كلام القاضي. قلت: وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة. والله أعلم، وانظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي ٤٤٨ / ٢.
- ٥- المغازي للواقدي ١ / ٤١٥.
- ٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ١ / ٦٦.

